لغة الإله

ألقيت هذه القصيدة في حفل توزيع «معجم البابطين للشعراء المعاصرين» في المركز الثقافي العربي في المزة ـ دمشق ١٩٩٦/٤/٨. وقد حضره سعادة الشيخ عبد العزيز سعود البابطين مؤسس جائزة البابطين للإبداع الشعري.. ومبدع فكرة المعجم الذي أهدى لكل شاعر منه نسخة مؤلفة من ستة مجلدات، وسلّمها له بيده.

شآمُ المجدِ تقرئكَ السَّلاما ... بقافيةٍ تشمُّ بها الخزامى

وينسكبُ البيانُ بها عبيراً ... حنينُ الرّوح يرشُفهُ مُداما

فتحسبها الحسانَ إليك تسعى ... لتبدعَ سكرةً ليست حراما

فعرْسُ الشعرِ ناداها فلبَّت ... نداماها.. ومن جمع الندامى

أليس الشِّعرُ علماً من إلهٍ ... تخيّر أهلَه فسَمَوْا مُقاما

همُ النَّفرُ الذين إذا استقاموا ... رأيتَ الكونَ أجمَعَه استقاما

وهم.. وأعوذ بالرحمنِ منهم ... إذا تركوا لعشقهمُ الزِمّاما

❖❖❖

أنا صبٌّ بحبِّ الضَّادِ هاما ... فعذراً إن قسا شعري ولاما

إذا ما كان للضَّادِ انتسابي ... أألقي دون ما تلقى لثاما!

إذن ما كنتُ منها صوتَ حقٍ ... ولا كنتُ الذي حفظ الذِّماما

لنا لغةُ الإله أبٌّ.. وأمٌّ ... وحقٌّ أن نزيدَهما احتراما

بها أوحى الإلهُ لنا كتاباً ... به سُدنا.. وحرَّرنا الأناما

وأبقى كلَّ ما فيه جديداً ... لنمضيَ دائماً.. أبداً.. أماما

فيا أمَّ اللغاتِ سلمتِ أمّاً ... تهيب بنا أنِ اطّرحوا الخصاما

ويـــا أمَّ اللغـــاتِ ســـلمتِ أمّـــاً ... بهـــا نـــزداد عـــزّاً واعتصامـــا
ورثنـــا مـــن فصاحتهـــا كنـــوزاً ... بهـا رفعـت لنـا في الدَّهْـرِ هامـا
أمَـا منحـت علـومَ الأرضِ روحـاً ... وزادتهـــا ثـــراءً، وانســـجاما؟
ولولاهـــا لَمَـــا اتَّحـــدتْ قلـــوبٌ ... علـى التقـوى.. ولا زدنـا التحامـا
ووا أســـفاه كـــم تلقـــى دعيّـــاً ... عليهـــا حقـــدُه زاد اضّطرامـــا!
ووا أســـفاه كـــم تلقـــى عُقوقـــاً ... ووا أســـفاه كـــم تلقـــى لئامـــا!
أمَـــا وأدوا قداسَـــتها جِهـــاراً ... وعمْـــداً زوّروا منهـــا الكلامـــا!
فَدَفْـعُ الظلـمِ إرهـابٌ لديهـم ... وأخـــزى الـــذُّلُّ ســـمّوْه ســـلاما
وقتـلُ الأهـل صـار لهـم جهـاداً ... وإرضـــاءُ العـــدُوِّ غـــدا المرامـــا
فكيـف أسـوق يـا أمّـاه عـذري ... ونحـــن نزيـــد ذلاً وانهزامـــا!
كـأن محمـداً لـم يهـدِ دينـاً ... وعيســـى لـــم يعلمهـــمْ وئامـــا
ولا الإنجيـلُ كـان كتـابَ حـبٍّ ... ولا القـــرآنُ جـــاء لنـــا نظامـــا
ولا شـــرَعَ الجهـــادَ لنـــا نبـــيٌّ ... بـــه حتـــى الخصـــومُ رأوْا قوامـــا
ولـــو أنـــا عشـــقنا المـــوت يومـــاً ... لأصبـــح نصْـــرُ أمَّتِنـــا لزامـــا

❖❖❖

أَلا مـــن هـــاتفٍ في الكـــون أنّـــا ... ســـنرجع مثلمـــا كنـــا كرامـــا
توحُّدنـــا علـــى النكبـــاتِ أمٌّ ... وتبـــدِلُ فرقـــةَ القـــومِ التآمـــا
ومـــا الزُّمـــرُ التـــي رضِيـــتْ بـــذلٍّ ... ســـوى زبـــدٍ علـــى التّيـــارِ عامـــا
فكـــم مـــرّت بأمتنـــا خطـــوبٌ ... وزادتهـــا ثباتـــاً، واحتدامـــا!

شموسُ الحق نحن إذا اتّحدنا ... فلن تلقى الظلومَ ولا الظلاما
فلستُ أرى لإسرائيل مجداً ... وإن قعد الزمانُ لها، وقاما
فما هي غير لملمةٍ تداعت ... ولن تلقى لِلملمةٍ قِواما
وما هي بالقويّةِ غير أنّا ... تشرذمنا فأصبحنا ركاما
وما هي غيرُ ظلٍّ ثم يفنى ... وأيُّ الظل فوق الأرض داما!
أما بحجارة الأطفال ريعت ... فهل نخشى التي تخشى غلاما!
ولولا أنها تحيا برعْبٍ ... لَما سحقتْ لأطفالٍ عظاما
جذور المجدِ تنبتُ ألفَ فرعٍ ... وهل فرعٌ بلا جذرٍ تنامى؟

❖❖❖

ألا وثباً أباةَ الضَيْم وثباً ... يُرجّى الغيثُ إمّا الأفق غاما
نعيد المسجدَ الأقصى بجيلٍ ... عن الدنيا وما فيها تسامى
نُعِدُّ له ونبنيهِ بناءً ... به الأمجادُ تهديه الزِّماما
فيسبق كلَّ من سبقوا ويبقى ... على النهج الذي يبقى قَواما
يُطهِّر أرضَه من كلِّ رجسٍ ... وتحيا بعدَها الدنيا السلاما
وهل كالشام من يبني ويعلي ... لأمته!! حمى الله الشآما
بأصفى الحبِّ تغمرُ من يُصافي ... ومن عادى تدقُّ به الحساما
فيُمنى الشامِ قد حَمَلَتْ حَماماً ... ويسرى الشامِ كم سَقَتِ الحِماما!

❖❖❖

أنا صبٌّ بحبِّ الضَّاد هاما ... وحبّي بَعْدُ ما بلغَ الفطاما
فما من مخلصٍ للضاد إلاّ ... وفي قلبي على بعدٍ أقاما

فإنّـــا قـــد رَضعناهـــا إبـــاءً ... ومـــن رضـــع الإبـــاءَ فلـــن يُضامـــا
علـــى الوثقـــى توحِّدنـــا هـــداةً ... نـــردِّدُ قـــول ربِّـــكِ «لا انفصامـــا»

❖❖❖

أتيـــتَ أبـــا ســـعودٍ ألـــفُ أهـــلاً ... إليـــك الشـــعرُ حمَّـــلني الســـلاما
أَمَـــا أنـــتَ الـــذي عشـــقَ القـــوافي ... ودلَّلهـــا.. وزاد بهـــا هُيامـــا!
وأَرْخَـــصَ في هواهـــا كـــلَّ غـــالٍ ... وزاد بنصـــرِ مبدعهـــا التزامـــا!
نَهَـــدْتَ لمطمـــحِ الشـــعراءِ طوعـــاً ... وعنهـــم كـــم أخـــو طَـــوْلٍ تعـــامى!
حملـــتَ لنـــا وفـــاءَك في كتـــابٍ ... بـــه التـــاريخُ أمســـى مســـتهاما
فطـــبْ في الشـــام بـــين الأهـــلِ نفســـاً ... فـــأرضُ الشَّـــامِ كـــم طـــابت مُقامـــا!
وغـــرِّدْ في ســـماءِ الشَّـــامِ لحنـــاً ... يزيـــد بـــه محبّـــوكَ انســـجاما
فمـــا أنجـــزتَ للأجيـــال بـــاقٍ ... يشـــعُّ بهـــاؤه عامـــاً فعامـــا
فليـــس لـــه بهـــذا العصـــر نِـــدٌّ ... ولا نِـــدٌّ لـــه بـــين القدامـــى
عنايـــةُ ربِّـــك اختـــارَتْك كفـــواً ... لـــه واللّـــهُ يختـــارُ العِظامـــا

❖❖❖

فيـــا عبـــدَ العزيـــز ســـلمت فـــرداً ... ضميـــرُ الشـــعر أهـــداك الوســـاما
أمـــامكَ ألـــفُ إنجـــازٍ لقومـــي ... ســـلِمتَ بخدمـــة الفصحـــى إمامـــا
فقـــد حقَّقـــتَ للشـــعراءِ حُلْمـــاً ... ويامـــا ســـوف يـــأتي منـــك يامـــا!

❖❖❖